

الشعر الأمازيغي الموجه للأطفال بمنطقة الأوراس بين الموضوعات والخصائص
 Amazigh poterie for children in the Aures region between
 themes and characteristics

قجبية عبد الناصر
 جامعة باتنة 1
 aguedjiba@yahoo.fr

إبراهيم ريجاني*
 جامعة محند أكلي أولحاج البويرة
 Laboratoire des Etudes littéraires,
 Linguistiques et Didactiques amazighes
 (LELLDA).

<https://orcid.org/0009-0000-9245-2482>

[email: b.rihani@univ-bouira.dz](mailto:b.rihani@univ-bouira.dz)

تاريخ القبول: 2023-05-11

تاريخ الإرسال: 2022-10-23

ملخص:

يعد الشعر الموجه للأطفال من بين الوسائل التي اعتمدها أجدادنا في التربية والتعليم لمختلف العلوم والثقافات، وهذا من خلال الأسلوب الفني الذي يعتمده من مزج بين الكلمات، والغناء والموسيقى، فشعر الأطفال خاصة القديم منه، له أهمية بالغة في دراسة المجتمعات الأمازيغية السابقة، في البداية سنتطرق إلى أنواع شعر الأطفال، كشعر الهددة وشعر المداعبة، اللذان يختلفان في الوظيفة والأداء. اتبعنا في هذا البحث المنهج الموضوعاتي، رغبة منا لتسليط الضوء على مضمون هذا الشعر وأهم موضوعاته، إضافة إلى قيامنا بدراسة تحليلية ووصفية لاستخراج خصائص هذا الشعر، خاصة ما يتعلق باللغة، الإيقاع والموسيقى، الخيال.

الكلمات المفتاحية: أدب الأطفال؛ شعر الأطفال؛ موضوعات؛ خصائص؛ شعر الهددة؛ شعر المداعبة. الأمازيغية.

Abstract:

Children's poetry is one of the means adopted by our ancestors in the education of various sciences and cultures, and this is through the artistic style it adopts from the combination of words, singing and music, children's poetry, especially

the old ones, is of great importance in the study of previous Amazigh societies, at the beginning we will touch on the types of children's poetry, such as the poetry of the hudhda and the poetry of foreplay, which differ in function and performance. In this research, we followed the thematic approach, in order to shed light on the content of this poetry and its most important topics, in addition to conducting an analytical and descriptive study to extract the characteristics of this poetry, especially with regard to language, rhythm, music, imagination.

Keywords: Children's literature ; Children's poetry; Themes; characteristics; lullaby poetry; foreplay poetry; Amazigh.

مقدمة:

تعد مرحلة الطفولة من اهم المراحل العمرية في حياة الإنسان، فهي بمثابة حجر الأساس في تكوين شخصية الفرد وبنائها، فقد عنيت المجتمعات البشرية بالطفولة منذ القدم، وحاولت أن تأخذ بهذا المخلوق الرقيق الصغير منذ ساعة ولادته حتى وقت شبابه وقوته، حيث أعدوا له المدارس والزوايا وذلك لتنشئته تنشئة صالحة قائمة على التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية الصحيحة. دون نسيان دور الأسرة والعائلة والمجتمع في تنشئته، من خلال تلقينه ثقافة أجداده من عادات، تقاليد وآداب، التي سوف ينقلها بدورة إلى أبنائه وأحفاده. هذا الأخير_ الأدب_ أخذ نصيبا كبيرا من ثقافة الأطفال، حيث كان المجتمع يلقيها إياه في سن مبكرة، كالقصص الشعبية والشعر .

فالشعر الموجه للأطفال في منطقة الأوراس يعد كنزا أدبيا أيلا للزوال، يتوجب علينا البحث عنه ودراسته، حيث لاحظنا انعدام الدراسات المهمة بهذا الشأن في هذه المنطقة. وهذا ما دفعنا لتسليط الضوء على شعر الأطفال، هذا الموضوع الذي لم تنجز عنه أية دراسة أكاديمية، ارتأينا أن ندخل في عمق المجتمع الأوراسي، حيثنا اعتمدنا على مجموعة من الأغاني المعروفة في منطقة الأوراس، خاصة ولاية باتنة، وللبحث عن هذا اللون الأدبي، قمنا باتباع المنهج الموضوعاتي أولا، والمنهج الوصفي التحليلي ثانيا، الذي بهما سوف نقوم باستنباط أهم موضوعات وخصائص هذا اللون الشعري. وعليه: ما تعريف شعر الأطفال؟ ما الموضوعات التي يتناولها شعر الأطفال في منطقة الأوراس؟ وما خصائص هذا اللون الشعري؟

1. أدب الأطفال

من مميزات الأدب عموما، أنه موجه لعامة الناس بكل فئاتها، نثرا كان أو شعرا، فالإنتاجات الأدبية لها أغراضها وأهدافها ولم تأت عبثا، خاصة الأدب الشعبي، فكان ما هو

موجه للكبار، النساء، الرجال، الطاعنين في السن وكذا الأطفال الصغار، فأدب الأطفال من جهة لا يختلف عن أدب الكبار في جوهره وأدواته، فهو من الناحية الفنية يحمل مقومات الأدب العامة نفسها. ومن جهة أخرى يختلف أدب الكبار عن أدب الأطفال في مراعاته لحاجات الطفل وقدراته وميوله وخضوعه لفلسفة الكبار في أثناء عملية التثقيف.

فالأدب بصورة عامة "هو فن جميل أدواته الكلمة، وهو يتفق مع كل الفنون في طبيعته وغايته، وكثير من خصائصه ووظائفه. ولكنه يختلف عن بقية الفنون في أدواته -وهي الكلمة- لها دلالتان، دلالة أصلية: هي ما يفهم أولاً، ودلالة فرعية هي قد ما توحى به أو ترمز إليه¹، وفي تعريف آخر، «كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية، أو انفعالات عاطفية أو هما معا»².

في المعنى العام، هو الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة، أما في معناه الخاص، فهو الذي يعني الكلام الجيد، بشرط أن يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان نثراً أم شعراً، وسواء أكان شفويًا بالكلام أم تحريريًا بالكتابة.

ويعرّف علي الحديدي أدب الأطفال بقوله: "أدب الأطفال خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان، كما يمكن أن نعرّف أدب الأطفال بأنه شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل ومع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، أم ما يتصل بمضمونه ومناسبته لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أو ما يتصل بقضايا الذوق وطرائق التكنيك وصوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة³، ولم يكتف الحديدي بهذا التعريف الموسع، بل يردفه بقوله: "إنه فن أدبي إنساني، يستخدم اللغة وسيلة له لتحقيق أهداف معينة، هي بناء شخصية

أحمد هيكال. (1998م). في الأدب واللغة. القاهرة: مكتبة الأسرة، ص20.

محمد مندور. (2012م). الأدب وفنونه. مصر: دار نهضة للطباعة والنشر، ص04.

علي الحديدي. (2010م). في أدب الأطفال. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ص100.

الطفل في ضوء تعاليم الإسلام، ويناسب خصائص النمو العقلي والنفسي والاجتماعي للطفل وهذا يندرج تحت مسمى: تعريف الأدب الإسلامي للطفل¹.

تعريفنا لهذا الأدب وهو فن التعبير الأدبي، الذي يهدف إلى تنمية ما لدى الطفل من مواهب تنعكس على تفكيره وتعبيره، ويمكن الجمع بين التعريفين. بالتعريف التالي: أدب الطفولة: هو التعبير بأسلوب بسيط ممتع، وضع خصيصاً لهذه الفئة العمرية أو تلك، كأساس للانتقال بالطفل إلى أدب الكبار.

2. أسباب الاهتمام بأدب الأطفال

أصبح أدب الأطفال في الوقت الحاضر من أهم الأدوات العامة والأساسية في تنشئة الطفولة، التي تعد أهم الدعائم لمستقبل الطفل الجزائري، ولذلك فقد تطور أدب الأطفال منذ القدم، لكون مرحلة الطفولة مرحلة مهمة في أغلب المجتمعات الإنسانية، أدب الأطفال هو الذي سيفتح له باب الخيال والتخيل، فهو نافذة على المستقبل القريب والبعيد، هذا الأدب سيصبح ذات يوم وسيلة يستعملها في حياته اليومية، وذلك في النقد، التخطيط، الإبداع.

3. الشعر في أدب الأطفال

لكل عصر أدبي مفاهيمه الخاصة للشعر أو "ثامأديازت" بالأمازيغية، ولكل مرحلة تاريخية مذهبها الأدبية. وقد تتجاوز مذاهب أدبية في العصر الواحد دون أن تتفق على مفهوم محدد للشعر. وهذا يعني أن الشعر مصطلح خلافي بامتياز يتعدد مفهومه بتعدد المكان والزمان والمذاهب.

لكن السماع لهذه اللفظة الجميلة (شعر) يستوحي الإحساس بالمشاعر والعاطفة والوجدان والإيقاع المنظم الجميل، والصورة الفنية المجنحة، وهذا ما غلب على إحياء تلك اللفظة، واستبعاد المعاني المعجمية دون سائر الدلالات الموحية بروح هذا الفن الشعري في جوهره؛ في مبناه ومعناه.

ويعرفه ابن خلدون بقوله « هو الكلام البليغ المبني على الأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والقافية»¹.

¹ المرجع نفسه، ص 26.

كلمة (شعر) لها دلالات يحددها السياق تقول: لبيت شعري ما خبر فلان؟ أي: ليتني علمت خبره. وسي الشاعر شاعراً لفطنته².

يُعرف الشعر في معناه اللغويّ على أنّه كلّ كلام موزون ومقفّى، أمّا بالنسبة لتعريف الشعر في الاصطلاح فإنّه القول الذي يتألف من أمور تخيلية، ويكون القصد من هذا الكلام إمّا الترغيب مثل قولهم: الخمر ياقوتة سيّالة، وإمّا الترهيب مثل قول: العسل قيء النحل، وفيما يتعلق بالشعر المنثور فهو كلّ كلام مسجوع وبلغ، ويكون مثل الشعر في التخييل والتأثير، ولكن الشعر المنثور غير موزون، ومثاله: لبيت شعري ما صنع فلان، وليتني أعلم ما صنع، وجمعه أشعار³.

فالشعر نوع مختلف عن بقية الأنواع من حيث شكله ومضمونه معاً. فهو لا يمتاز عنها من حيث الدرجة الشعرية فحسب بل يختلف عنها من حيث الجوهر والمظهر معاً. وتبقى النصوص الأخرى نثراً مهما ارتفعت درجتها الشعرية. فالشعر جنس أدبي له خصائصه الذاتية وطبيعته الخاصة وكيانه المستقل عن غيره. ولهذا لا بد من البحث عن مقاييس تحدده وقوانين تميزه من سواه.

4. أنماط شعر الطفولة

أ. الشعر الغنائي

الشعر الشعبي الأمازيغي (الشاوي) كله غنائي، وهذا بمختلف أنواعه وفنونه، فهو يمثل الشعر الذاتي، مرتبط بالموسيقى والغناء، وقد تطور هذا النوع تبعاً لتطور الحضارة الإنسانية نفسها، ولذلك ظهرت أنواع كثيرة من الشعر الغنائي: الأغنية، الأثشودة، المرثية،

...

ب. الشعر القصصي

عرف هذا النوع في العصور الماضية، أما في العصر الحاضر فقد قل هذا النوع، لاعتماده النثر في أسلوبه القصصي بشكل أفضل، ومن أقسامه: الشعر الملحمي، وهو قصة

¹ سمير عبد الوهاب أحمد. (2009). أدب الأطفال وقراءات نظرية ونماذج تطبيقية ط عمان، الأردن: دار المسيرة. ص112.

² محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (1986). مختار الصحاح. لبنان: مكتبة لبنان. ص24.

³ مجمع اللغة العربية. (2005). المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية، ص 484.

شعرية طويلة تصف الحروب بأسلوب موضوعي قصصي مصور، إضافة إلى شعر القصة الشعبية.

5. الهدف من شعر الأطفال

شعر الطفولة وسيلة مثلى لبناء الأطر المعرفية والمهارية لدى الأطفال، فالأطر المعرفية تعني بذلك أن يهدف النص الشعري إلى زيادة معلومات الطفل ومعارفه وتنميتها، حيث يفتح أمامه نوافذ يطل من خلالها على الكون فيزداد وعياً وشعوراً به، أما الأطر المهارية، فتتعلق بتنمية مهارات حسية حركية لدى الطفل، ومهارات عقلية، وإدخال عنصر جمالي تدوقي تغذى منه المهارة، ومن بين الأهداف التي يحققها:

أ. أهداف ترفيهية:

وهو الذي يساعد الطفل على قضاء وقته وإسعاده، فقد كانت الأم في حد ذاتها حديقة للألعاب، من خلال أشعارها وأغانيتها التي كانت تستعمل بعض المصطلحات مثل "اسغوغش" التي تعني الترفيه واللعب، حركياً وصوتياً، أي تقوم بتأدية بعض من الأغاني الشعبية مع تحريكه واللعب معه.

ب. أهداف نمائية

فترة الطفولة فترة سريعة مقارنة بالفترات الأخرى من حياة الإنسان، حيث تشهد عدة تغيرات على عدة مستويات، وتتمثل في النمو اللغوي، الفكري، العقلي، إضافة إلى الوعي، فمن خلال الأشعار، يمكن له أن يكتسب لغته الأولى، و الثانية وربما الثالثة، يكتسب أيضاً ثقافته المحلية التي بها سيتواصل مع أفراد بيئته. فهو يليي تعطش الأطفال إلى المعرفة واكتشاف العالم من حولهم،

ت. أهداف عقائدية

وهي جعل الطفل الصغير يكتسب بعضاً من العقيدة الإسلامية، التي تصله عن طريق الأدب ككل، وعن طريق الشعر بوصفه عنصراً، وهذا ما نلاحظه في بعض القصائد التي تبدأ

بـ:

بِسْمِ اللّٰهِ وَبِاللّٰهِ
وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ
يَا رَبِّ حَنِي
مَأْمِي وَانْغَانِي
بِسْمِ اللّٰهِ وَبِاللّٰهِ
وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ
مَأْمِي ذَامَازِيَان
يَاتِيْرَار يَاتْمَاضِرَان

من خلال هذه القصيدة، سوف يتعلم بعض الكلمات الدينية، ككلمة الله، رسول، الصلاة،... التي ستترسخ في ذهنه طول الدهر. إضافة إلى ترقية وصلل سلوكه وبث الأخلاق الفاضلة، فنمو الطفل يقوم على المحاكاة والتقليد، أي يحتاج إلى قدوة، لأنه يهتم بالأفعال لا بالأقوال. أما محتويات الأدب، فسيقوم باستيعابها لاحقا في مراحل أخرى من حياته.

ث. أهداف فنية

يعد الشعر عملا فنيا ، له أشكاله وقوانينه التي من خلالها يقدم للبشر فتحدد قيمته. فالطفل الصغير يعشق الجمال في كل صوره. فهو يحب ذلك الصوت الرقيق الممزوج بالانغام والمحسنات البديعية. فبالشعر يراد إرهاب الحس الجمالي لدى الأطفال، وتشويقهم إلى الروائع الفنية وذلك لدفعهم إلى الإبداع اللامتناهي في التعبير عن مشاعره الخاصة.

6. أنواع شعر الطفولة

1.6. شعر الهددة "أوزان / أسوؤآس"

يستقبل الطفل في المهده هذه الأصوات الحانية، مع الهددة بهزهة السيرير، فتشترك أحاسيسه في اندماج وتناغم بفعل المنعكس الشَّرطي، إن هذه الموجات التأثرية العاطفية، تتموضع على الجملة العصبية، وعلى السيالة النفسية، ومع مرور الأيام والليالي ترسخ هذه التوضعات على شكل انطباعات غافية، مثل كُؤم الزهرة الذي يحتفظ بالعطر إلى حين أو ان تفتحه، فتفتح الأحاسيس الغافية وتستيقظ.

بينما أطفال المهده الموصد عليهم الباب دون الهددة لسبب من الأسباب، ينشؤون وقد حرموا هذا المعامل الموضوعي الوجداني.

من جهة أخرى، يعد لونا أدبيا، هدفه تنويم الطفل، وقد قال عن هذا زومثور: « هو نمط شعري، كوني السعة والذيع، يؤدي وظيفة مميزة، خاص بالأمهات أو غيرهن ممن يضمن بهذا الدور خلفا لهن»¹

اختلفت الأسماء لهذا اللون الأدبي من منطقة لأخرى، ففي منطقة القبائل تستعمل عدة تسميات ك: أسهوي، أزوزان، أسباربار، أهوزو، أما في الأوراس، فوجدنا عدة تسميات كانت إجابة على السؤال التالي: ماذا كنتم تفعلون للطفل الصغير لكي ينام ويهدأ؟ فكانت إجاباتهم متقاربة نوعا ما، وكانوا يستعملون: أسوضاس، أسارسي، أسوسام، أوأوي (جاءت من لفظة "أوو")، أداوأح. وحسب الباحث "كل هذه التسميات على اختلافها الشكلي تقوم في صلبها على معنى واحد مشترك وهو مراودة الطفل واستمالتة للنوم"².

ومما هو معروف، أن شعر الهددة شعر غنائي، الغرض منه الإنعاش للصببي وتنويمه. له خصائصه ووضعياته الخاصة به مثل: على المهد، الحضن أو الظهر.

أ. هدهدة الطفل في المهد

مَهْدُ الرَّضِيعِ: سَرِيرُهُ الَّذِي هَيَّأَ لَهُ لِيَنَامَ عَلَيْهِ، يكون المهد على شكلين، مصنوع من الخشب يوضع على الأرض بجانب سرير الأم، تقوم بتحريكه عندما تلاحظ الطفل قد نعس، أما الشكل الثاني، فيصنع من الحلفاء على شكل قفة كبيرة "ثاكلوث"، تقوم بتعليقها في سقف المنزل (اقداص)، وذلك لكون هذا الشكل من المهود سهل التحريك من طرف الأم أو فرد آخر.

ب. الهددة في الحضن

حضن الأم، هو المكان المحبوب لدى الأطفال الصغار، عكس المهد، كما قال الباحث "تخلق الأم وضعيات أنسب وأريح لإنعاشه، تكون أكثر قريبا منه، تشعره باستمرار بعطفها وحنانها وأنسها، فمن هذه الوضعيات تلك التي تتربع فيها الأم في جلسة القرفصاء فتمدد صبيها على ركبتيها مقابل صدرها، فتتعمد إطعام الصبي بيزاد مزدوج: من جهة تطعمه من حليب ثديها [...] ومن جهة أخرى، تغذيه بهويدات شعرية تنساب بلحن شجي وتقرع أذن

¹ ZUMTHOR, P. (1983). *introduction à la poésie oral*. Paris: Seuil.p 91.

² محمد جلاوي. (2009). تطور الشعر القبائلي وخصائصه (بين التقليد و الحداثة)-ج1- الشعر التقليدي (المجلد 2). الجزائر: H.C.A. ص.103.

صبيها بلطف وتقوده في ظرف وجيز نحو الاستكانة «مع إرفاق طبطبة خفيفة على كتفه أو
ضهره أو المسح على رأسه»¹.

مثال:

أَبْرَاحَ إِينو أَبْرَاحَ إِينو

مَأمَيّ ذِي الطَّرْفِ إِينو

أَحْرَازَ-أَيْثَ أَبَابَا إِينو

كلمة "الطرف" أو «أعبون»، تعني الحضن، أي ابني في حضني، أطلب من الله أن
يحميه.

الهددة في الحضن ليس شرطاً أن تكون جالسة، وإنما هي الوضعية الأنسب للام
والطفل، فهناك من الأمهات من تحمل ابنتها في حضنها و تمشي به من زاوية لأخري، من مكان
لآخر، و تحركه يمينا وشمالا، عسى ان ينام بسرعة وهي تغني :

سَعَاذَ إِينو، سَعَاذَ إِينو

مَأمَيّ جَارِ يَيْفَاسَانَ إِينو

سَعَاذَ إِينو، سَعَاذَ إِينو

مَأمَيّ ذَتَاقِيذِيثَ نَتَادَارِثَ إِينو

شبهت الأم طفلها بعمود البيت " تَاقِيذِيثَ " حيث تظهر في هذه الأبيات الرائعة
اعتزازها وفخرها به، كبف لا وهو سعادتها.

ت. هدهدة الصبي على الظهر

عندما تكون الأم منشغلة بالأشغال المنزلية، كالطبخ والتنظيف أو عمل آخر، تقوم
بحمل طفلها على ظهرها، بغية في تنويمه وريح الوقت، وتغني له الأغاني المفضلة، حتى
يستسلم للنوم، فتقوم بإنزاله من على ظهرها، وتضعه في مهده لتستمر في إنجاز الأشغال
المتبقية.

المرجع نفسه، ص 109.

2.6. موضوعات أشعار الهدهة

في المجتمعات الشاوية التقليدية، يصعب على المرأة التعبير عما يجول في خاطرها، فأشعار الهدهة تعد فرصة لها للتعبير عما لا يمكن ان تعبر عنه بشكل صحيح أمام الزوج أو أحد أفراد الأسرة.

أ. موضوع الفخر والاعتزاز

يعد المقصد الأول من هذه الأشعار، حيث تقوم الأم بتهويدات بصوت خافت مملوء بالحنان واللفظ، متمنية أن يكون ابنها ذلك الرجل الذي تتمناه أي أم. من بين الأشعار التي وجدناها:

أطّاس أمّمي

أذ أش-أوينت هرجاين

أذ أش-سّيلينت غار بيجآنوان

جار وّيور ذيثران

استعملت في هذه الأبيات مجموعة من الكلمات الدالة على موضوع النوم، من بينها الفعل " أطّس/ ttes "، التي تعني "نم"، إضافة إلى " ثيرجاين (الاحلام)، اجنوان(السموات)، اثران (النجوم)...وهي كلمات دالة على النوم الهادئ للطفل.

موضوع الافتخار والتباهي لدى الأمهات بأبنائها موضوع قديم، إذ تقوم بوصفه بعدة صفات، وذلك لما تريد أن تراه فيه من صفات في المستقبل، ويأتي هذا من شدة حبا له.

أبزّاح إينو أبزّاح إينو

شآك ذاالروح إينو

الشبعآث-تآك ذتقاوانت إينو

أبزّاح إينو أبزّاح إينو

الفرح، والرضا، والشبع، صفات تتمناها الأم لابنها الصغير، فهي لا تريد أن يكون ابنها فقيرا، بل تريد أن يكون سيد قومه لتباهي به بين الأمهات.

ب. موضوع الحزن

مرت المرأة الشاوية بفترات صعبة للغاية، خاصة في أثناء الثورة التحريرية، حينما فقدت زوجها، أخاها أو والدها، مما جعلها تعبر عن ذلك في قصائد قصيرة.

سوسم أعلاً
سوسم أمآمي
أذ نآق أعلاو ئيبابا-ك
بابا-ك إروح إبعآذ-آك
يآوي ثاروميث
يآدجا يما-ك

لا يوجد في المجتمع من لا يحفظ هذه القصيدة، صغيرا كان أو كبيرا، في هذه القصيدة تحاول الأم أن تعطي لنفسها جرعة من الأمل لنفسها، أين تركها زوجها مع ابنها، رغم ذلك فإننا نجدها تجهز له برنسا، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على حب الزوجة لزوجها، وحزنها على فراقه.

3.6. شعر المداعبة "أرادا/أسارقاص"

شعر المداعبة، هو ذلك الشعر المستعمل مع الأطفال الصغار من طرف الأبوين معا، عكس شعر الهددة، الذي يعد مهمة الأم لوحدها في اغلب الأحيان، حسب "فهو دفع الطفل بحركات منتظمة نحو الأعلى قصد مداعبته"¹.

تسمية هذا النوع من الوضعيات تنوعت من منطقة لأخرى، مثل "أسانقوفي، أسارقاص، أسناقآز، أسجآآب، أرادا. ولو عدنا إلى التسمية الأولى، لوجدنا إحدى القصائد الشعرية استخدمت مصطلح قريب من هذا.

أذ-نسآع إفولا
أذ نآق تاعلولا
الدوح إتيلولا
نقوف أمآمي نقوف

"نقوف أمآمي نقوف"، الأغنية الأكثر انتشارا في منطقة الشاوية، يعرفها الكبير والصغير، في هاته القصيدة، كلمة "فوف" جاءت من الفعل "نقوف" بمعنى تحرك من مكانك.

¹Jean Marie, D. (1982). *Dictionnaire kabyle-français*. Alger: EDSELLAF.P 732.

ذكر الباحث في الأدب الأمازيغي محمد جلاوي هذا النمط الشعري بعدة تسميات منها كلمة "اشتدو" وهي مرادفة لكلمة "اسأرقأص"، غير ان مصدرها يختلف، "فلاشتدو" لفضلة جاءت من فعل "اشتد" في اللغة العربية، الذي يعني التصلب، ولكن لو بحثنا في أصل الكلمة، لوجدنا أصلها أمازيغي، والتي جاءت من فعل "أدو/ ddu، التي تعني امشي في القبائلية¹ والشاوية، حيث وجدنا في قصيدة بالشاوية استعمال هذه الكلمة بشكل مخالف في حروفها:

داداش نانش

إغيض أبريـاش

هاما ذاق يبيض

هاما ذاق واس

واذيقاعمار مأميس ن يماس

تستعمل هذه القصيدة بإمساك يدي الطفل ومساعدته على المشي، بتكرار جملة "داداش نانش" إضافة إلى تسميات أخرى مثل: استسهو، أسناقز ...

1.3.6. مواضيع شعر المداعبة

يغلب على مواضيع أشعار المداعبة بالشاوية في منطقة الأوراس عموما موضوع الأمل والاعتزاز والأحزان بدرجة اقل، إضافة إلى القيم الأخلاقية.

أ. الأمل والمستقبل

كيف لا تعني المرأة الشاوية لصبيها وهي التي تضع آمالها كلها في مستقبل الطفل، هو مصدر سعادتها منذ ولادته رغم الظروف القاهرة في بعض الأحيان، فقد كانت تأمل وتتمنى مستقبلا زاهرا لطفلها، وهذا يتجلى في بعض القصائد:

أذ يافاعمار مامي

أذيعاذ ذارقـاز

أذ أسيد اويغ ثاسليث

أذ يساوا أحم

¹ محمد جلاوي. (2009). تطور الشعر القبائلي وخصائصه (بين التقليد و الحداثة)-ج1- الشعر التقليدي (المجلد 2). الجزائر: H.C.A. ص120.

هذه الأبيات مليئة في جوهرها بالمعاني الدالة على ما ذكرناه، فالمرأة كثيراً ما تتمنى لولدها ان يصبح رجلاً "أرفاز" باللغة الأمازيغية، فتقوم بتزويجه لتكوين العائلة أو أخام، وهذا البيت يبرز لنا بوضوح حب الأم لولدها، وما يجول في خاطرها من مشاعر جياشة تجاهه من خلال الكلمات المستعملة "أذيقاعمار، أرفاز، ثاسليث، أخام".

ب. القيم التربوية

لم تغفل الأم الشاوية في منطقة الأوراس عن الجانب الأخلاقي والتربوي لطفلها، فالقيم هي التي تضبط علاقة الطفل بمجمعه، وينضوي تحت هذه القيم كل ما يضبط العلاقة مع الآخر والجماعة والمجتمع، وأول ما يمكن أن نمثل له ها هنا هو "سلوك الطفل في أسرته" (مجتمعه الصغير) بكل أفرادها: الأم، والأب، والإخوة، والأخوات، وما يسود بينهم من حب واحترام وتعاون وما إلى ذلك من القيم التي تجعل من الأسرة مثلاً يحتذى به.

هالاي هالآ

هالاي هالآ

أوشآن يأتزآلآ

يأتآكار يأتدجالآ

من خلال هذه القصيدة، نلمس طريقة تعليمية غير مباشرة للطفل الصغير، حيث تغني له الأم هذه الأغنية دون ان يعرف المقصد أو المغزى، فمن جهة هي تعبر عن حالة الأمهات من خلال تجربة أو ما تلاحظه في مجتمعها من فساد ديني وأخلاقي، كالخداع و الخيانة والسرقه... ومن جهة أخرى تجعل ابنها مستعداً أشد الاستعداد للمشاكل التي سوف تعترضه في الواقع المعيش بسهولة. ولعل بر الوالدين هو القيمة الأكثر شمولاً على صعيد الأسرة، فهي إلى جانب كونها قيمة أخلاقية، بل ودينية أيضاً، فإنها كذلك قيمة اجتماعية لأنها اللبنة الأولى في تأسيس العلاقة بين الطفل ووالديه، لذلك كان حرياً بنشيد الطفل أن يركز على هذه القيمة ويرسخها، وبهذا تكون التنشئة الأولى على هذه القيم داخل أسرتها، حيث يتم داخل إطار العائلة غربة وترسيخ القيم و المعايير المجتمعية، وكل الخبرات المؤهلة للحياة الاجتماعية، وتعتبر إطار التبادلات الاجتماعية والثقافية والعاطفية بين الأبناء والآباء.

7. خصائص شعر الأطفال

أ. لغة شعر الطفل

كما هو معروف، استجابة المتلقي للمادة المقروءة أو المسموعة تتأثر بنوعية اللغة المستعملة في التواصل، ولهذا كان لزاما على الشعراء أن يستخدموا في أشعارهم التي ينظمونها للأطفال مفردات سهلة، واضحة وبسيطة حتى يضمن ربط خيوط التواصل بينه وبين متلقيه من الأطفال، ففي شعر الأطفال الذي جمعناه، لاحظنا استخدام مفردات قصيرة وسهلة، مكررة عدة مرات، وذلك لجعل الطفل يتعلم بسرعة، مثل:

سوسم أعلا

سوسم أمآمي

أذ نآق أعلاو ئيبابا-ك

بابا-ك إروح إبعآذ-آك

يآوي ثاروميث

يآدجا يما-ك

ب. وزن وموسيقى شعر الطفل

تبدأ علاقة الطفل بالشعر في مرحلة الطفولة المبكرة، وربما في مرحلة المهد، حيث يستجيب الطفل للإيقاعات المنظمة المتمثلة بدقات قلب الأم، ويتأثر ويتفاعل مع المعطيات والمؤثرات؛ من ههددة وأغان، يستفيد من هذه الأناشيد، لا من معانيها، بل من الشحنة العاطفية الوجدانية فيها، بما تحملها من الإيقاع المنظم الجميل الذي يبعث على الهدوء والطمأنينة النفسية والراحة للجملّة العصبية. ويختلف نمط الإيقاع بين شعر المداعبة وشعر الهددة، كون وظيفتهما تختلف، مثلا في شعر الهددة "أأوي" بالشاوية، وهو إضافة أبيات شعرية مع إيقاع بصوت منخفض جدا، ويكون هكذا باستعمال بعض المحسنات البديعية مثل التكرار، وهذا ما سنبينه فبالقصيدة التالية:

أووو؛ أووو

مآمي يحلا

أووو؛ أووو

مآمي يآبها

أووو :أووو

ذ تاشأماعت ذاق وُوجأنا

تكون استجابة الطفل للشعر المقفى أكبر، حيث تستكمل القافية خصائص الشعر الموسيقية، وتزداد جاذبية الطفل لهذا الشعر، خاصة إن وجد فيه تكرارا لحروف أو كلمات أو حتى لبعض المقاطع، فأول شيء يحفظه الطفل هو تلك المقاطع المكررة من القصيدة. لشعر الأطفال علاقة وطيدة مع الغناء، فالإلقاء لا يكون قراءة شعرية، بل يكون عن طريق التلحين والغناء، باستعمال صوت شجي، وهذه خاصية من خاصياته، فلم نجد من يغني لطفل بصوت مرتفع، كغناء المواويل والأهازيج.

ت. الخيال "أسوقآن"

نمو الطفل المورفولوجي يصاحبه نمو خيالي، حيث تلعب الصور البيانية من كنايات ومجازات وإشارات ضمنية مكانا خصبا تترعرع فيه المعاني الشعرية و تزدهر، وهذا ما تطرقنا إليه في موضوعات شعر الأطفال، حيث وجدنا في الشعر عدة صور وخير مثال :

هالآي هالآ

هالآي هالآ

ووشآن يأتزآلآ

يأتآكار يأتدجالآ

"ووشآن يأتزآلا، يتكار يتجالا" بمعنى الذئب يصلي، سرق ويحلف وهذه استعارة، والذئب هنا يقصد به الإنسان ذو الصفات الذميمة كالخبث و الخداع، الذي يستغل الدين لابتزاز الآخرين، ليس فقط الذئب، بل نجد المرأة الشاوية استعملت العديد من الشخصيات الحيوانية لتصوير الواقع، إضافة على هذا، نجد أشعار الأطفال تستعمل مجموعة من الصور كالسما "أجنا"، النجوم "إثران" الجبل "أذرار" لإنماء الجانب الخيالي في شخصية الطفل. ففطرته سوف تجعله يتساءل عما كانت أمه تنشده له من أشعار.

خاتمة :

نخلص في الأخير إلى أن شعر الأطفال يعد أول مدرسة فنية يدخلها قبل أن يكبر وينمو، فهي حسب ما جمعناه من قصائد قصيرة، إلا أننا توصلنا إلى أنه يوجد نمطين لهذا الشعر، الأول هو شعر الهدفة، الذي بواسطته تقوم الأم بتنويم طفلها، أما النمط الثاني، فهو شعر المداعبة، الذي يعمل وظيفة عكس النمط الأول، فهو يقوم على جعل الطفل مستيقظا، كل هذا الشعر يحمل في طياته مجموعة من المواضيع التي تعبر عن نفسية و مكبوتات الأم الشاوية، فمواضيعه تتكلم عن الحب، و الحزن، ومستقبل ابنها، و القيم الاجتماعية والتربوية، وهذا لم يكن ليحدث لولا إدخالها مجموعة من الخصائص كنوع اللغة والمفردات المستعملة، كالمفردات القصيرة " فوق، تشيتشي، ديدي، بعو، كاك، مومو..."، إضافة إلى استعمالها كما هائلا من الصور البيانية من مجاز، كناية واستعارة، أما المحسنات البديعية، فقد وجدنا عدة محسنات كالجناس والسجع، الشيء الذي أعطى لهذا الشعر صفة الشعرية.

شعر الأطفال ذو أهمية كبيرة في الحياة التعليمية لدى الطفل، فهو الذي يعلمه اختيار الذوق، يفتح له باب الخيال الذي سيجعله يبذل في مستقبله القريب.

المراجع

1. BONFOUR, Abdellah. (1999). *introduction à la littérature des berbères, poésie traditionnelle et poésie contemporaine*. Paris: peeters.
2. ĞELLAWI, Mohammed. (2007). *Tiwsatin timnsayin n tmedyetz taqbaylit*. Alger: HCA.
3. Jean Marie, Dallet. (1982). *Dictionnaire kabyle-français*. Alger: EDSELLAF.
4. MAHFUFI, Mhenna. (1992). *Le repertoire musical d'un village berbère Algérien (kabylie)*. Thèse de doctorat. université de Paris.
5. ZUMTHOR, P. (1983). *introduction à la poésie oral*. Paris: Seuil.
6. أحمد هيكل. (1998م). في الأدب واللغة. القاهرة: مكتبة الأسرة.
7. العربي دحو. (2006). نصوص من الأدب الأمازيغي الشاوي بالشرق الجزائري. الجزائر: الأمل للدراسات.

8. العربي دحو. (ديسمبر 2003 م). ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى (بالعربية والأمازيغية) (جمع وتوثيق وتصنيف وترجمة وتعليق د/العربي دحو. باتنة: منشورات جائزة الأوراس.
9. سمير عبد الوهاب أحمد. (2009). أدب الأطفال وقراءات نظرية ونماذج تطبيقية ط 2. عمان، الأردن: دار المسيرة.
10. عبدالرؤوف محمد . (1994). أدب الأطفال وبناء الشخصية منظور تربوي إسلامي. الإمارات: دار القلم.
11. علي الحديدي . (2010م). في أدب الأطفال. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
12. مجمع اللغة العربية. (2005). المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
13. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (1986). مختار الصحاح. لبنان: مكتبة لبنان.
14. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين. (2005). القاموس المحيط (ط. الرسالة). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
15. محمد مندور. (2012م). الأدب وفنونه. مصر: دار نهضة للطباعة والنشر.
16. محمد جلاوي. (2009). تطور الشعر القبائلي وخصائصه (بين التقليد و الحداثة) -ج1- الشعر التقليدي (المجلد 2). الجزائر: H.C.A.

References :

1. Ahmed; HIKEL. (1998m). *Fi al'adabi wa allugha*. Al'qahira : Maktabatu al usra.
2. Al'âarbi; DAHU. (2006m). *Nusus mina al'adab al'amazighi a'chawi bi charq al'jazairi*. Al'jazair. Al'amal li dirasat.
3. Al'âarbi; DAHU. (2003m). *Diwan a'chiâr a'chaâbi âani a'thawra a'ttahririya fi al'wilaya al'ula(bi al'âarabiya wa al'amazighiya, jamâ wa tawthiq wa tasnif wa tarjama wa taâliq D /Al'âarbi DAHU)*. Batna : Manchourat jaizat Al'awras.
4. Ahmed; SAMIR ABDELWAHAB. (2009m). *Adab al'atfal wa qiraat nazariya wa namazij tatbiqiya*, tabâa 02. Äamman, Al'ordon : dar al'masira.

5. ABDERRAUF; Mohammed. (1994m). *Adab al'atfal wa bina a'chakhsiya, mandhour tarbawi islami*. Al'imarat : dar al'qalam.
6. Ali; AL'HADIDI. (2010m). *Fi adab al'atfal*. Misr : Maktabat al'anglou al'misriya.
7. Mojammâa Al'logha Al'âarabiya. (2005m). *almoâjam al'wasit*. Misr. Maktabat a'chorouk a'ddowaliya.
8. Mohammed; Beni abi bakr beni abd el'kader a'rrazi. (1986m). *Mokhtar a'sohah*. Lobnan : maktabat Lobnan.
9. Mohammed; Ben Yaakub Al'fayruzi Abadi Majd A'ddin. (2005m). *Al'qamus al'mohit (tabâa a'rrisala)*. Bayrut, Lobnan : moassasat a'rrisala.
10. Mohammed; MANDUR. (2012m). *Al'adab wa fonunoho*. Misr : Dar nnahdha li tibaâa wa nachr.
11. Mohammed ; DJELLAOUI. (2009m). *Tatawwor a'chiâr al'qabaili wa khasaisihi(bayna a'ttaqlid wa al'hadatha) j01-a'chiâr a'ttaqlidi(al'mojalled 2)*. Al'jazair : H.C.A.